مسلك انتقاء مصادر التفسير وعلوم القرآن عند المستشرقين
– تحليل ونقد –

ملخص

يتناول هذا البحث مصادر علوم القرآن والتفسير المعتمدة لدى المستشرقين، والمعايير الانتقائية لتلك المصادر دون غيرها، فمصادر علوم القرآن والتفسير التي تزخر بها المكتبات العربية والغربية كثيرة، ومع ذلك نجد المستشرقين ينتقون بعض المصنفات فقط لمعالجة موضوعات خطيرة كتاريخ القرآن وجمعه، والقراءات وغيرها، وذلك بغرض التشكيك في صحة القرآن الكريم، والحط من عقائده وأحكامه. وتناولت بالدراسة بعض المصادر في القراءات، وعلوم القرآن، والتفسير.

د. حدة سابق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة

Abstract

This research deals with sources of Quranic sciences and interpretation accredited to the Orientalists, and standards of selectivity to those sources and not others. The sources of Quranic sciences and interpretation that abound in Arab and Western Libraries frequent; however, we find that the Orientalists weeded out some of the works only to address serious topics as the date the Koran and collected, and readings, etc., for the purpose of questioning the validity of the Quran, and degrade the beliefs and provisions. The study dealt with some sources in the readings, and interpretation the sciences of Quran.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، ثم أما بعد:

لقد تعددت مجالات كتابات المستشرقين في موضوع التفسير وعلوم القرآن، فتجد بعضهم ألف كتبا مستقلة في مبحث من مباحث هذا الموضوع، كما صنع إجنتس جولد تسيهر في كتابه "مذاهب التفسير الإسلامي"، وكذلك قد تجد هذا الموضوع في

صورة أبحاث متناثرة في موسوعات كبرى، كما هو الحال في موسوعة دائرة المعارف البريطانية، أو دائرة المعارف الإسلامية، أو تجده فصولا ومباحثَ في مؤلفات تحوي أكثر من موضوع.

والمتتبع لهذا الإنتاج الفكري لهذه الفئة، يلمح منهجا يكاد يكون موحدا يسلكه المستشرقون، ويقتدي فيه اللاحقون بالسابقين منهم، ومن أبرز المسائل المتعلقة بهذا التركيز على نوع محدد من المصادر والمراجع في التفسير وعلوم القرآن.

ولا شك أن هذا الانتقاء يسلك شكلا منهجيا يوحي بغرض لدى هؤلاء يدفعهم إلى الاتكاء على تلك المصادر، سواء كانت تلك الأغراض تخص أهدافا مسبقة لديهم لا تتحقق إلا من خلال هذا الانتقاء، أو كانت تتعلق بقضايا علمية بحتة.

من هذا المنطلق جاءت فكرة موضوع البحث، والذي عنونته بـ "مسلك انتقاء مصادر التفسير وعلوم القرآن في أبحاث المستشرقين تحليل ونقد".

والذي سأتناول فيه بإذن الله المطالب الآتية:

المطلب الأول: نسبية عناية المستشرقين بتحقيق مصادر علوم القرآن والتفسير.

المطلب الثاني: المصادر المعتمدة لدى المستشرقين في علوم القرآن.

الخاتمة.

المطلب الأول: نسبية عناية المستشرقين بتحقيق مصادر علوم القرآن والتفسير

إن المتتبع للموسوعات المخصصة لتراجم المستشرقين، وكذا الدراسات العلمية المتعلقة بتعريف جهودهم في خدمة التراث الإسلامي، بقدر ما يلاحظ كثرة إنتاجهم في بعض الفترات التاريخية، يلاحظ تركيزهم على مجالات محددة على حساب مجالات أخرى ذات أهمية علمية، فإنتاجهم في تحقيق كتب التصوف، والتاريخ والفرق والقبائل، يفوق مجالات أخرى أكثر أهمية، كعلوم القرآن، والتفسير، والحديث.

ففي دراسة أجراها الدكتور عبد العظيم الديب، اعتمادا على معجم المخطوطات المطبوعة لصلاح الدين المنجد، ذكر فيها أن نسبة مصنفات التفسير وعلوم القرآن تمثل

2,1% من مجموع المؤلفات المطبوعة، وهذه تمثل نسبة ضئيلة[1].

وبقراءة قائمة مصنفات علوم القرآن والتفسير المحققة، نجد أكثرها ينتمي إلى مبحث القراءات القرآنية، وعددا قليلا جدا من مصنفات التفسير، ومما ذكره الدكتور الديب:

1. بروتسل، أو. [1893-1941]، نشر كتابين في القراءات: التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني. والمقنع في رسم مصاحف الأمصار.
2. برجشتراسر، ج. [1886-1933] نشر مجموعة من الكتب: الإيضاح في الوقف والابتداء، لأبي بكر الأنباري. وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري. ومختصر شواذ القراءات لابن خالويه. ومعاني القرآن للفراء.
3. ريتر، هيلموت [1892-1971]، لديه مشكل القرآن لابن قتيبة.
4. فلاشير، هـ. ل [1801-1888] نشر تفسير البيضاوي.
5. ليز، وليام ناسو [1825-1889] نشر الكشاف للزمخشري[2].
6. آثر جفري قام بتصحيح كتاب المصاحف لابن أبي داود.

وفي ظل هذا العدد القليل من المصادر التي تم تحقيقها من قبل هؤلاء، والذي يكشف طريقة المستشرقين الانتقائية في التعامل مع مصادر علوم القرآن والتفسير، فأغلبها في القراءات.

وإذا نظرنا في إنتاجهم العلمي، فإننا نجد كثيرا منهم يعتمد مسلكا انتقائيا في تخير مصادر البحث بأسلوب يوحي بسبق ترصّد نوع معين من البيانات التاريخية، دون النظر إلى قيمة إسنادها، ومستواها من الصحّة، فكل نصّ تاريخي وجدوا فيه ضالتهم تشبثوا به، حتى وإن كان مكذوبا عند أهل الفن.

---

(1) ينظر: المستشرقون والتراث، عبد العظيم الدّيب، ص15.

(2) ينظر: إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي، علي بن إبراهيم النملة، 1416هـ، ص47-104.

ووصف هذا الواقع الأستاذ أبو الحسن الندوي بالاستراتيجية الاستشراقية الدقيقة، ووضحها بقوله: "ومن دأب كثير من المستشرقين أنهم يعيّنون لهم غاية ويقررون في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق، ثم يقومون لها بجمع معلومات –من كل رطب ويابس– ليس لها أي علاقة بالموضوع، سواء من كتب الديانة والتاريخ، أو الأدب والشعر، أو الرواية والقصص، أو المجون والفكاهة، وإن كانت هذه المواد تافهة لا قيمة لها، ويقدمونها بعد التمويه بكل جرأة، ويبنون عليها نظرية لا يكون لها وجود إلا في نفوسهم وأذهانهم"[1].

ولهذا اختاروا بعض المصنفات التي تحوي النصوص الشاذّة المخالفة للواقع؛ وأسّسوا من خلالها قواعد ونظريات للطعن للقرآن الكريم، وفيما يلي نتناول ما وقفنا عليه من تلك المصادر المنتقاة.

المطلب الثاني: المصادر المعتمدة لدى المستشرقين في علوم القرآن

أولا- كتاب المصاحف لابن أبي داود

على الرغم من أن مصنفات رسم المصاحف كثيرة، وفي متناول الباحثين سواء المسلمين والغربيين، فقد عمد كثير من المستشرقين إلى غيرها من المصادر التي تخالف المعروف والمشهور، وذلك لتحقيق أهداف محددة مسبقا، وكان في مقدمة تلك المصنفات كتاب المصاحف لابن أبي داود.

فقد وجد فيه معظم المستشرقين ضالتهم المنشودة، فمعروف عن ابن أبي داود أنه كان يجمع كل ما بلغه في شأن جمع القرآن واختلاف مصاحف الصحابة دون تمحيص أو تثبت[2].

(1) الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، أبو الحسن الندوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1406هـ- 1986م، ص16.

(2) ينظر: آليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الإسلامية د. حسن عزوزي، مطبعة آنفو – برانت، فاس، المغرب، 2007م، ص23.

وقد اعتنى بتحقيقه آرثر جيفري[1]، وذكر أنه اعتمد فيه على "ثلاث نسخ الأولى في المكتبة الظاهرية بدمشق (حديث 407)، الثانية في درا الكتب المصرية (تفسير 504)، والثالثة في مكتبتي، وكتبت هاتان النسختان من النسخة الظاهرية، فهي إذا الأساس الوحيد لصحة النص المراد طبعه"[2].

وكشف جفري عن غرضه من نشر هذا الكتاب في أول فقرة من المقدمة، فقال: "نتقدم بهذا الكتاب للقراء على أمل أن يكون أساسا لبحث جديد في تاريخ تطور قراءات القرآن[3].

ثم تحدث عن تطور القراءات القرآنية لدى المستشرقين، ثم ختمها بقوله: "هذا في رأي المستشرقين تاريخ تطور في قراءات القرآن من بدء المصاحف المختلفة في أيام

---

(1) آرثر جفري – Jeffery. A: أسترالي، عين أستاذا في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ثم في جامعة كلومبيا، كانت له عناية كبيرة بالدراسات القرآنية، في مقدمتها القراءات، فقام بنشر كتاب المصاحف للسجستاني، وله نصوص من القرآن، ودراسة عن مختصر شواذ القراءات لابن خالويه، وأبي عبيد والقرآن، وقراءة زيد بن علي، وغيرها. ينظر: المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، 1964، ص1013.

(2) كتاب المصاحف لأبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني (230 -316 هـ)، صححه ووقف على طبعه: الدكتور آثر جفري، المطبعة الرحمانية، مصر، 1355هـ/ 1936م، مقدمة التصحيح، ص12.

ذكر الدكتور محب الدين عبد السجان واعظ، في مقدمة تحقيقه لكتاب المصاحف لابن أبي داود، أن المستشرق –يقصد جفري– اعتمد في نشر هذا الكتاب على النسخة الظاهرية، وقابلها مع نسخة دار الكتب المصرية –مع كونها منسوخة من الظاهرية– مدعيا بأنها نسخة ثانية. ينظر: كتاب المصاحف لأبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، 1415هـ-1995م، ص97 من قسم الدراسة.

وهذا الكلام يخالفه واقع الحال، وقد ذكرنا نص جفري في منهج تعامله مع النسخ أنه اعتمد نسخة الظاهرية، وهذا ما أكده على اللوحة الخارجية للكتاب.

(3) كتاب المصاحف لابن أبي داود، تصحيح جفري، ص02.

الصحابة إلى المصحف الرسمي العثماني، ومن وقت حرية الاختيار في الروايات إلى أن اعتمد العلماء رواية رسمية من روايات الرواة الكثيرة المختلفة... فبناء على هذا نرى ستة أطوار في تاريخ تطور قراءات القرآن وهي:

1. طور المصاحف القديمة.
2. طور المصاحف العثمانية التي بعث بها إلى للأمصار.
3. طور حرية الاختيار في القراءات.
4. طور تسلط السّبعة أو العشرة.
5. طور الاختيار في روايات العشرة.
6. طور تعميم قراءة حفص وهو طور النسخ المطبوعة[1].

يعني أن مصادر القراءات الثابتة بالرواية الصحيحة، لا تشكل أساسا لدى هؤلاء في البحوث المتعلقة بتاريخ القرآن الكريم وقراءاته؛ فهم لا يريدون بحثا يثبت الوقائع كما ثبتت عند المسلمين، بل يسعون لإيجاد مسالك أخرى تخالف بل تطعن فيما جرى الاتفاق عليه لدى علماء المسلمين.

وجفري نفسه يكشف أن ما توصل إليه من نتائج تتعارض مع الواقع تاريخ القرآن الكريم لدى المسلمين، فيقول: "ولا يخفى على القارئ، أن نتيجة هذه الأبحاث لا تتفق وما عليه المسلمون من تاريخ القرآن، ولا يهمنا في بحثنا هذا كونه حقا أو باطلا، وإنما المهم هو بيان ما وصلنا إليه بعد التحري والتنقيب"[2].

يقول الدكتور محب الدين واعظ: "وقع في الكتاب بعض الآثار الضعيفة، التي استغلتها بعض الفرق الضالة قديما والمستشرقون حديثا، ليخلصوا من ورائها إلى زعزعة نفوس ضعاف القلوب في ثبوت القرآن، وبث الشك في نزاهة الصحابة بزعمهم الباطل.

وإن ترك هذا الكتاب وأمثاله بدون البحث عن الرواة، ودرجاتهم في قبول الرواة

(1) كتاب المصاحف لابن أبي داود، تصحيح جفري، ص09.

(2) المصدر نفسه، ص09 – 10.

خطره عظيم على الدين؛ إذ يجد المستشرقون ومن شايعهم منافذ لإدخال الشكّ والرّيب في قلوب من لم يدرك الحقائق"[1].

ويقول عبد الله الجديع: "منذ سنين طويلة وأنا أتساءل عن سبب حرص المستشرقين على الكتب التي صنّفها بعض علماء الإسلام فيما يتّصل بنقل القرآن، ولا أجد الجواب يرجع إليّ إلّا أنّ هؤلاء حاقدون على دين الإسلام، لهم مقاصد سوء، يبحثون عن طريق للطّعن على القرآن، فتراهم أوّل من اعتنى مثلا بنشر كتاب «المصاحف» لأبي بكر بن أبي داود السّجستانيّ، وهو كتاب مفيد للمشتغلين بالعلم، مصنّفه إمام ابن إمام، فقصد هؤلاء إلى نشره وترجموه إلى بعض لغاتهم ظنّا منهم أنّهم وجدوا فيه بعض مرادهم، لما تضمّنه من حكاية قصّة جمع القرآن، والمصاحف الّتي كانت عند بعض الصّحابة ممّا فيه اختلاف حرف أو ترتيب عن مصاحف المسلمين، وقد شرحت أنّه ليس من ذلك شيء فيه مطعن على القرآن العظيم.

وهؤلاء المستشرقون مساكين كإخوانهم من أهل البدع، لا يدرون ما الأسانيد، ولا يميّزون صحيحَ نقلٍ من سقيمه، فجميع الأخبار المحكيّة عندهم مسلّمات، وإنّي لأعذرهم في ذلك، فإنّ اليهود والنّصارى قد حرموا الإسناد، واختصّت به هذه الأمّة الوسط، فأنّى لهم أن يفهموه؟!"[2].

ثانيا- "الزوائد من الحروف التي خولف بها الخط في القرآن" للقاسم بن سلاَّم

ألف القاسم بن سلام كتابه "فضائل القرآن ومعالمه وآدابه"[3]، وأفرد فيه بابا

(1) كتاب المصاحف لابن أبي داود، تحقيق محب الدين واعظ، المقدمة، ص7.

(2) المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص 182.

(3) حقق كتاب فضائل القرآن ومعالمه وآدابه لأبي عبيد القاسم بن سلّام أكثر من مرة، منها: تحقيق الأستاذ أحمد بن عبد الواحد الخياطي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1415هـ - 1995م.

للزوائد من الحروف التي خولف بها الخط في القرآن[1].

فقام بعض المستشرقين باستلال هذا الباب، وأفرده بالنشر قبل طباعة الكتاب، في مجلة إسلاميكا، العدد 243[2].

قال محقق الكتاب أحمد الخياطي: "ينبغي التنبيه والإشارة إلى أن ما جاء في هذا الباب عند أبي عُبيد، هو من القراءات الشاذة. وقد نص العلماء على أن القراءات الشاذة هي التي شذت عن رسم مصحف الإمام، ويجب أن يعلم أن القراءة بالشاذ أو بالقراءات الشاذة لا يجوز التعبد بتلاوتها، ولا يجوز الصلاة بها لما نقل عن العلماء المحققين"[3].

بل أبو عبيد نفسه يؤكد أنها قراءات شاذة لم يرْوِها العلماء فضلا عن اعتمادها، فقال: "هذه الحروف التي ذكرناها في هذين البابين من الزوائد لم يروها العلماء، واحتملوها على أنها مثل الذي بين اللوحين من القرآن؛ ولا لأنهم كانوا يقرأون بها في الصلاة. ولم يجعلوا من جحدها كافرا، وإنما يقرأ في الصلاة، ويحكم بالكفر على الجاحد لهذا الذي بين اللوحين خاصة، وهو ما ثبت في الإمام الذي نسخه عثمان بإجماع من المهاجرين والأنصار، وإسقاط لما سواه ثم أطبقت عليه الأمة، فلم يختلف في شيء منه، يعرفه جاهلهم كما يعرفه عالمهم، وتوارثه القرون بعضها عن بعض، وتتعلمه الولدان في المكاتب. وكانت هذه إحدى مناقب عثمان العظام. وقد كان بعض أهل الزيغ طعن فيه ثم تبين للناس ضلالهم في ذلك"[4].

---

(1) فضائل القرآن ومعالمه وآدابه لأبي عبيد القاسم بن سلام، 105/2.

(2) المصاحف المنسوبة للصحابة والرد على الشبهات المثارة حولها عرض ودراسة، محمد بن عبد الرحمان الطاسان، دار التدمرية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1433هـ– 2012م، 449.

(3) فضائل القرآن ومعالمه وآدابه لأبي عبيد القاسم بن سلام، الهامش، 105/2.

(4) المرجع نفسه.

ثالثا- الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي

لقد حظي تراث الإمام جلال الدين السيوطي باهتمام كثير من المستشرقين، بداية من تتبع فهارس مؤلفاته ونشرها، الذي قام به كل من غوستاف فلوجيل [1802-1870] Flugel, G، وكارل بروكلمان [1868-1956] Brockelmmann, C .

فالمستشرق الألماني فلوجل نشر في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي رسالة السيوطي "فهرست مؤلفاتي"، وقد جعل نشرته هذه ذيلاً للمجلد السادس من "كشف الظنون "المطبوع في سنة 1852م، وكانت هذه النشرة اعتماداً على نسخة خطية نُسخت في سنة 1169هـ، وهي مجهولة الناسخ.

والمستشرق بروكلمان خدم تراث السيوطي في عمله الموسوعي الموسوم بـ"تاريخ الأدب العربي"، حيث كان السيوطي واحداً من الأعلام الذين أدرجهم في تاريخه، وعقد له ترجمة مسهبة تليق بمقامه العلمي، وكانت ترجمة السيوطي عنده واحدة من أطول تراجمه، بل ربما كانت أطولها على الإطلاق[1].

مما يدل على القيمة العلمية للمصنفات السيوطي في دوائر البحث الاستشراقي، ويتقدم تلك المصنفات "الإتقان في علوم القرآن"، الذي وصفه المستشرق أدولف كروما بأنه: "أوسع ما كتب في عرض هذا الموضوع بأسره على الإطلاق"[2].

وهذه الشهادة مع مخالفتها للواقع، فإنها تبين مدى عناية المستشرقين بهذا المؤلف، وخاصة في الجانب العلمي المتعلق بنقل النصوص منه، دون تحقيق علمي، وتثبت في مدى صحتها.

ولهذا كان تركيزهم في التحقيق على المصنفات التي تحقق أهدافهم المشبوهة، ككتاب "القراءات الشاذة في القرآن لابن خالويه"، و"كتاب المصاحف لابن أبي داود"، و"الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي، الذي نشره المستشرق النمساوي

(1) فلوغل وبروكلمان وتراث السيوطي: سمير الدروبي، تاريخ النشر: 2005/1/1 موقع الحياة: www.daharchives.alhayat.com

(2) فلوغل وبروكلمان وتراث السيوطي: سمير الدروبي، تاريخ النشر: 2005/1/1 موقع الحياة: www.daharchives.alhayat.com

"شبرنجر" [1].

فكتاب الإتقان يعدّ مصدرا للروايات التي يؤسسون بها لشبهاتهم وأباطيلهم، إما باعتماد الضعيف، أو بالتوجيه الفاسد للنصوص الصحيحة والحسنة في المبحث المدروس، بغرض التشكيك في مصداقية القرآن الكريم.

ومثال ذلك أن كاتب مادة "القرآن" في دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية وجد فيما أورده السيوطي في إتقانه من روايات مختلفة ومتباينة عن أول من جمع القرآن الكريم باباً يَلِجه، لكي يعرض أمام القراء جملة من الروايات الضعيفة التي تسند الأولية في جمع القرآن تارة إلى عمر رضي الله عنه، وتارة إلى علي ﷺ، وينقل عن ابن أبي داود أيضا رواية مفادها أن أبا بكر رضي الله عنه بدأ بالجمع، ثم أكمل ذلك عمر ﷺ، وينقل أيضاً رواية عن ابن سعد في طبقاته مفادها أن عمر رضي الله عنه توفي ولم يكمل جَمْع القرآن. فمختلف هذه الروايات الضعيفة والمنقطعة تتعارض مع ما جاء في صحيح البخاري من أن أول مَنْ جَمَعَ القرآن هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه[2].

رابعا- تفسير الإمام الطبري

يعد تفسير الإمام الطبري من المصادر المهمة والأساسية عند المستشرقين وغيرهم، ولا يكاد يخلو بحث في علوم القرآن أو التفسير من الرجوع إلى هذا المصدر الأم.

وقد أثنى عليه كبار المستشرقين، ووصفوه بالأوصاف العلمية اللائقة، فقال: تيودور نولدكه: "يعتبر المسلمون تفسير الطبري عملا لا يجارى، وهو بالفعل أكثر أعمال التفسير التي أنتجها العالم الإسلامي فائدة؛ وذلك من خلال ما يقدمه من وفرة في المادة وتنوع وأمانة فيها"[3].

(1) ينظر: محمد عوني عبد الرؤوف، جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، 2004م، ط1، القاهرة، ص349–366.

(2) ينظر: آليات لمنهج الاستشراقي في الدراسات الإسلامية، د. حسن عزوزي، مطبعة آنفو، فاس، المغرب، 2007م، ص22-23.

(3) تاريخ القرآن، نولدكه، (ص391)

وقال جولد تسيهر: "كان تفسير الطبري الكبير لب التفسير بالمأثور، والقمة العالية التي وصل إليها هذا المذهب في التفسير..."[1]. ويقول: "وإلى وقت قريب كان كتابه في التفسير، الذي لا يقدر بثمن بالنسبة لمعارفنا الاستشراقية، يعتبر مفقودا أيضا[2]. وقد أجمع الباحثون في الشرق والغرب في الحكم على قيمته"[3].

ومع هذا الاعتراف، نجدهم ينقلون منه النصوص، والآراء المختلفة التي يوجهون بها مواقفهم ليحققوا أهدافا مرسومة مسبقا، فنجد مثلا أكثر الروايات عند جولد تسيهر في كتابه مذاهب التفسير الإسلامي، منقولة من تفسير الطبري، مستعملا إياها لتبرير الشبه والأباطيل التي طرحها، وخاصة في المرحلة الأولى للتفسير.

ففي هذه المرحلة، مرحلة جمع القرآن وتدوينه في عهدي أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، نجد المستشرق جولد تسيهر يعتمد تفسير الطبري في نقل الروايات غير المتواترة، سواء صح سندها أم لا.

إذ في سياق إثباته للرواية بالمعنى في القراءات القرآنية، وجد ضالته في تفسير الطبري، فراح يورد النصوص التي فهم منها هذا المعنى، فيقول: "وفي آية 93 من سورة الإسراء يقول المشركون لمحمد ﷺ: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ ... أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن

(1) مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسيهر، (ص92)

(2) ذكر الدكتور الشهري أن كتاب ابن جرير فقد ولم يكد يوجد منه إلا نقول هنا وهناك... ولم يذكره إسماعيل البغدادي في كتابه (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون)، وبفضل من الله سبحانه وتعالى تم العثور على نسخة كاملة مخطوطة من هذا التفسير العظيم عند أمير (حائل) الأمير حمود من آل رشيد من أمراء نجد، وقد طبع الكتاب على هذه المخطوطة قريباً، مع المخطوطة التي وجدت في دار الكتب المصرية بالقاهرة وإن كانت ناقصة، والمخطوطة الناقصة كذلك التي وجدت في حلب في مكتبتها الأحمدية، وقد ابتهجت الأوساط العلمية بطباعته في ذلك الحين، وقد صور جولد زيهر الفرحة التي عمت أوساط المستشرقين بطباعته، وقد رصدت أكاديمية الفنون الجميلة بباريس عام 1900م جائزة لمن يتصدى لدراسة التفسير وبيان منهج مؤلفه فيه. ينظر: محمود محمد شاكر وتحقيق تفسير الإمام الطبري رحمه الله، عبد الرحمن الشهري، موقع ملتقى أهل التفسير، بتاريخ 2003/04/18، 1424/02/16هـ.

(3) مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسيهر، (ص85)

﴿زُخۡرُفٍ﴾، وفي هذا يقول المحدث المكي مجاهد (المتوفى حوالي 104/102هـ): كنا لا ندري ما الزخرف حتى رأينا قراءة ابن مسعود: (أو يكون لك بيت من ذهب) فهو لفظ مرادف يشرحه". وعزا هذه الرواية للإمام الطبري[1].

وبعد فقرة، يورد ما يعتقد أنه دليل عن الاختلاف المؤثر في تغيّر الألفاظ القرآنية، فينقل ما ساقه الطبري عن ابن مسعود في هذا، فقال: "وهناك اختلافات بعيدة المدى تحدثها أيضا تغييرات لفظية لا تقدم مجرد تأويل بسيط في الدلالة، أو توضيح لبعض المواضع المشكوك فيها... بل تقدم مسخا تاما للقراءة المشهورة. وابن مسعود هو السند المذكور كثيرا في مثل هذه القراءات. فهو يقرأ مثلا آيتي 45–46 من سورة الصافات: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ۝٤٥ صَفۡرَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ بدلا من: ﴿بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾، وفي آية 123 من نفس السورة: ﴿وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾، غيَّر ابن مسعود اسم النبي فقرأ: (وإن إدريس أو إدراس) ... (طبري 31/23، 56)"[2].

فهنا جولد تسيهر أصدر حكما بناء على ما ذكره في النموذجين، والإمام الطبري لم يورد الرواية الأولى على أنها المتواترة، بل رواها بصيغة التمريض، فقال: "وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: صفراء. حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدّي، في قوله (بَيْضَاءَ)، قال السدّي: في قراءة عبد الله: صفراء"[3].

فوضعه صفراء بدل بيضاء، ليس فيه شيء من المسخ، بل رواية آحاد لم يعتد بها القراء[4].

فالمستشرقون لما كانت تأويلاتهم تنساق في التشكيك في صحة القرآن وفي أمانة نقله، وتبليغه، وجمعه وترتيبه، راحوا يتشبثون بالروايات الشاذة الموجودة في بعض المصادر

(1) مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسيهر، (ص28)

(2) المرجع نفسه، (ص29)

(3) تفسير الطبري، (21/ 36)

(4) تعقب عبد الحليم النجار على جولد تسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، الهامش، (ص29)

القديمة، وخاصة تفسير الطبري، والمتعلقة بالاختلافات المنسوبة إلى المصاحف الفردية لبعض الصحابة أمثال ابن مسعود وأُبَيّ بن كعب وعلي بن أبي طالب، وابن عبد الله وموسى الأشعري وغيرهم[1].

ومثال ذلك، استنادهم في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا﴾ (سورة الأحزاب: 37)، إلى خبر أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره، قال: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان النبي ﷺ قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش، ابنة عمته، فخرج رسول الله ﷺ يومًا يريده وعلى الباب ستر من شعر، فرفعت الريح الستر فانكشف، وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي ﷺ، فلما وقع ذلك كرِّهت إلى الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله إني أريد أن أفارق صاحبتي، قال: ما ذاك، أرابك منها شيء؟ "قال: لا والله ما رابني منها شيء يا رسول الله، ولا رأيت إلا خيرًا، فقال له رسول الله ﷺ: أمسك عليك زوجك واتق الله، فذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ﴾ تخفي في نفسك إن فارقها تزوجتها"[2].

ولم يتعقبه الطبري بشيء، مع عدم صحتها، وقد بين هذا الإمام ابن كثير في تفسيره حين عرض لبيان معنى الآية المذكورة سابقا، قال: "ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ هَاهُنَا آثَارًا عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أَحْبَبْنَا أن نضرب عَنْهَا صفَحا لِعَدَمِ صِحَّتِهَا فَلَا نُورِدُهَا. وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ هَاهُنَا أَيْضًا حَدِيثًا، مِنْ رِوَايَةِ حَمَّادُ بْنُ

[1] ينظر: والدراسات القرآنية، أحمد بابانا العلوي، موقع ديوان العرب، الثلاثاء 30 أيلول (سبتمبر) 2014.

[2] تفسير الطبري، جامع البيان تحقيق: شاكر (20/ 274)

زَيْدٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ فِيهِ غَرَابَةٌ تَرَكْنَا سِيَاقَهُ أَيْضًا"[1][2].

الخاتمة

إن مسلك الانتقاء في التعامل مع مصادر علوم القرآن والتفسير، مسلك ثابت لدى أبرز أعلام المستشرقين، وهذا لأنهم وجدوا في المصادر التي انتقوها من الروايات الشاذة، والأخبار الباطلة التي تشبع نهمهم في الطعن في صحة القرآن الكريم، وفي تواتر وصوله إلينا كما نزل على النبي ﷺ، ولذا وجدت تلك المصنفات العناية البالغة من تحقيق وترجمة وتعليق ونشر، ولم يكتف بعضهم بهذا بل راح يدلس بإضافات ينسبها للمؤلفين، كما هو الحال مع آرثر جيفري في تحقيقه لكتاب المصاحف لابن أبي داود.

[1] أخرجه أحمد في المسند، (19/ 492). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف، وفي متنه غرابة، مؤمل بن إسماعيل سيء الحفظ، وقد رواه جماعة من الثقات عن حماد بن زيد دون قوله: أتى رسول الله ﷺ منزل زيد بن حارثة فرأى امرأته زينب، فكأنه دخله! وهو ضمن حديث طويل أخرجه أحمد بريقم (13025) من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب، قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة: "اذهب فاذكرها عليَّ" فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجينها، قال زيد: فلما رأيتُها عظُمتْ في صدري، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها.. وإسناده صحيح. ففيه أن الذي أتى المنزل هو زيد بن حارثة، وأن الذي دخله –أي: وجد في نفسه شيئا– هو زيد، وهذا هو الصواب، والله تعالى أعلم".ينظر: مسند أحمد ط الرسالة (19/492 - 493).

[2] تفسير ابن كثير ت سلامة (6/ 424)

مصادر ومراجع البحث

1. الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، أبو الحسن الندوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1406هـ-1986م.
2. إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي دراسة تحليلية، علي بن إبراهيم النملة، الطبعة الأولى، الرياض، سنة 1417هـ-1996م.
3. آليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الإسلامية، حسن عزوزي، مطبعة آنفو– برانت، فاس، المغرب، 2007م.
4. تاريخ القرآن، تيودور نولدكه، دار نشر جورج ألمز، نيويورك، سنة 2000م.
5. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ). المحقق: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع. الطبعة: الثانية 1420هـ-1999م.
6. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ). المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة. الطبعة: الأولى، 1420هـ-2000م.
7. جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، محمد عوني عبد الرؤوف، المجلس الأعلى للثقافة، 2004م، ط1، القاهرة.
8. الدراسات القرآنية، أحمد بابانا العلوي، موقع ديوان العرب، الثلاثاء 30 أيلول (سبتمبر) 2014.
9. فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، أبو عبيد القاسم بن سلّام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: 224هـ). تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير (دمشق –بيروت). الطبعة: الأولى، 1415هـ-1995م.
10. فلوغل وبروكلمان وتراث السيوطي: سمير الدروبي، تاريخ النشر: 2005/1/1م موقع الحياة: www.daharchives.alhayat.com
11. كتاب المصاحف لأبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني (230-316هـ)، صححه ووقف على طبعه الدكتور آثر جفري،

المطبعة الرحمانية، مصر، 1355هـ-1936م.
12. كتاب المصاحف لأبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، 1415هـ-1995م.
13. كتاب فضائل القرآن ومعالمه وآدابه لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق الأستاذ أحمد بن عبد الواحد الخياطي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1415هـ- 1995م.
14. محمود محمد شاكر وتحقيق تفسير الإمام الطبري رحمه الله، عبد الرحمن الشهري، موقع ملتقى أهل التفسير، بتاريخ 2003/04/18، 1424/02/16هـ.
15. مذاهب التفسير الإسلامي: اجنتس جولدتسيهر، ترجمة: عبد الحليم النّجّار، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1955م.
16. المستشرقون والتراث، عبد العظيم الدّيب، دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، 1992م.
17. المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، 1964م.
18. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (المتوفى: 241هـ). المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون. مؤسسة الرسالة. الطبعة: الأولى، 1421هـ-2001م.
19. المصاحف المنسوبة للصحابة والرد على الشبهات المثارة حولها عرض ودراسة، محمد بن عبد الرحمان الطاسان، دار التدمرية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1433هـ- 2012م.
20. المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف الجديع العنزي، مركز البحوث الإسلامية ليدز – بريطانيا، الطبعة: الأولى، 1422هـ-2001م.